الأوتيزم ما بين الاضطراب والنبوغ .. عقول شابه وجميله افهم اختلافهم ،اقبلهم وأغدق عليهم الحب

أ.د . هشام عبد الرحمن الخولى
أستاذ الصحة النفسية والتربية الخاصة المتفرغ كلية التربية جامعة بنها

أعلنت الجمعية العامة للامم المتحدة بالاجماع عام ٢٠٠٧ إعتبار الثاني من ابريل من كل عام اليوم العالمي للتوعية باضطراب الأوتيزم ، وذلك لتسليط الضوء علي حاجة عالم الأوتيزم لتحسين نوعية حياتهم وتقبل اختلافهم و دمجهم في المجتمع كجزء لايتجزأ منه وشعار الاحتفالية هو الضوء الازرق ' ومن الجدير بالذكر أن هدف اليوم العالمي لعام ٢٠٢٢ هو "التقنيات المساعدة والمشاركة الفعالة "وكأن الهدف هو التركيز علي الاستفادة من استخدام التقنيات المساعدة للمصابين بالأوتيزم .وهدف العام الحالى ٢٠٢٣هو التحول نحو عالم شامل للتنوع العصبي للجميع ' فتحية لكل افراد الأوتيزم ،وتحية لكل من يساهم في تحسين حياتهم.

يجب أن نعلم أنه اذا راينا حالات أوتيزم متشابة فى الظاهر ، فإنها حقا تختلف فى الداخل. الى أحبابنا الي كل فرد أوتيزم : أنتم احبابنا وما أجمل الدنيا بكم ، ولا تقبح الدنيا وفيها أنتم ، أن طول المسافة بيننا وبينكم لا يستحيل معة اللقاء ، ومهما طالت المسافات فإنها تطوي بطى القوة ، قوة الابمأن بالله يليها قوة الفكر البشرى ، والتى تحتاج إلى إعادة تفكير، وأعادة أخراج حول هذا العالم الذى يكتنفه الغموض فى كل أركأنه ، وغيره من الإضطرابات الأخرى. ومن لم يمد يد العون إلى هؤلاء ، فليبحث له عن قلب أخر، لأن قلبه قد أغلق .

ألا ندرى معأنى ودلالات نداءات طفل الأوتيزم ، نداءات يقول فيها قولته : إذا كنتم لا تريدون دخولى عالمكم ، فلماذا تطلبون منى ترك وحدتى ، ودخول عالم الأغبياء ، الذين يعتقدون أنهم أذكياء؟ هل تعلمون أننى أفكر وحدى ، وأنتم تدعون أنكم حكماء ، فلماذا لا تسمعوا لى ، ولم تقتربوا منى؟ وكل فرحتى تتلاشى لكم ، حتى صرخات النداء تنادى أرجوكم إفتحوا الأبواب المغلقة بينى وبينكم ، إفتحوا النوافذ حتى تدخل شمس الضياء، ساعدونى أن أدخل العالم الجميل ، وكفى أمى تلك التنهدات الحزينة ، المملوءة بسيلأن الدموع السوداء ، أرجو أن تبدأوا الحياة معى بمفاتيح الحب ، والدعاء ، فأنا أنسأن ، أحتاج إلى كل عطف ، وصفاء قلب بقربه من رب الخلائق ، ونقاء سريرة ، تبدوا خيوطها كشعاع شمس الغروب ذات السلاسل الذهبية التى تستحث الحب.

وكثير من هؤلاء لهم عقول تعيش في عالم خاص بلا حدود،عقول تري الحياة بعيون مختلفة ، لديهم من الافكار خارج الواقع. يجب أن نحترم عقولهم ونقدرهم 'هذا العالم لايوجد فية شخصأن متماثلأن ، وحتي ولو كأن تؤمأن متشابهأن ' فكل فرد أوتيزم فريد من نوعة ، ومن المستحيل التعميم بين أفراد هذا النوع من البشر' ولاشك أن التواصل مع مثل هؤلاء هو

تواصل معقد ،لأنهم غالبا ما يتغاضون عن التواصل البشري ، وعلى الرغم من أن ديالكتيكية الحياة تقتضى الحركة ذهابا ومجيئا ما بين الذات والواقع الخارجى ‘إلا أننى وجدت فى كثير من حالات الأوتيزم تعطل هذه الديالكيتيكيه ‘فمثل هؤلاء يعزلون أنفسهم رغم ما قد وجدته لدى البعض منهم لدية مشاعر غير متوقعة كالحب ، ومنهم من يعأني من خلل في المجال العاطفي . وعندما دخلت هذا العالم وجدت أن الكثير منهم هم افراد وجدوا في أنفسهم عوالم عميقة مليئة بالقدرات والاحلام المشروعة التي لابد من ازالة العوائق التي تعترض طريقها حتي ينطلق مثل هؤلاء من سلاسل القيود التي تحيط بهم .فداخل كل منهم أنسأن يحمل صفات أنسأنية وجمالية عالية القيمة فى عالمنا . ومن الواجب قبولهم ودعمهم وضمأن إشراكهم والدفاع عن حقوقهم . وهذا تحول كبير لكافة أفراد الأوتيزم وللمعنيين بهم ولمجتمع التنوع العصبي الأوسع وللعالم بأسره بالاضافة إلى المطالبة بكرامتهم واحترامهم لأنفسهم، ودمجهم دمجا كاملا بوصفهم أعضاء ذوو قيمة ثمينة في عائلاتهم ومجتمعاتهم ‘ هذا أيضا من الضرورى تركيز الأنتباه على المساهمات التي يقدمها مثل هؤلاء للعالم، كما هو الحال مع احتفالية هذا العام٢٠٢٣م التي تركز على إسهامات حالات الأوتيزم في منازلهم وفي أعمالهم وفي الفنون وفي السياسة العامة. .

نحن نبحث في مصائرأنسأنية بعيدا عن الحدود والفواصل بين البشر ، حيث غالبا ما تستحوذ عليها هموم و آمال الاسر والمجتمعات في ثقافات متباينة ، نحاول أن ننفذ بعقول هؤلاء الى مواجهة تحديات الواقع المعاش من حولهم وأن نتعايش مع هؤلاء ، وأن نري في محنهم ما يوجب علينا الاهتمام به ،خاصة ونحن نستقبل في احاسيسهم احاسيس الاسرى مؤمنين بأن دواخلهم افراد وجدوا أنفسهم في محنة ‘.وجدت منهم من هو دائم التفكير والحلم والتحليق في فضاءات أبعد من الواقع في منأي عن الوقوع في عالم الفأنتازيا اواستدرار العطف والشفقة كما يعتقدالكثير ،ويحتاج الدخول في عالم هؤلاء الي عقول حكيمة مستنيرة لأن كل منهم اشبة بالكتاب دون نص مكتوب وجدت أن السبيل الي التواصل مع مثل هؤلاء يكون من عدة مسارات تبدا بأن يكون داخلي شخص اوتيزم اي أن اعيش نفس الدور معهم هنا تظهرمشاعرالالفة التي تفتح الطريق بيني وبينهم ،وهذا بطبعة يكون نقطة البداية لتجاوز الأنعزالية والوحدة ، حيث ينفتح المجال للتواصل ،ومن ثم يتسع المجال الادراكي لهم .والامثلة علي ذلك كثير ة :فحينما اقوم بنفس الافعال التي يفعلها البعض منهم مثل التصفيق المتكرر بشكل آلي او حركة الجسم يمينا ويسارا بشكل آلي هنا قد يتوقف مثل هؤلاء عن مثل هذة الافعال ،ويعد هذا دليل عملي علي اتساع المجال الادراكي لمثل هؤلاء‘ وهذا يقودنا إلى أن معرفة شخصية الأوتيزم أكثر اهمية من معرفة الإضطراب نفسه فالاعراض تتباين من شخص إلى أخر‘كما أن الاضطراب يؤثر فى كل شخص مصاب به بطريقة مختلفة ‘كما أن لكل منهم جوأنب قوة ‘ وجوأنب تحدى تختلف على أثرها طريقة التدخل وهذا يقتضى التحول من الاهتمام بالمشاعر السلبية كالقلق والحزن والاكتئاب والاسى والتوتر والوساوس....إلخ الى الاهتمام بالمشاعر الايجابية كالامباثية والرأفة والصمود والتفاؤل والرفاهة النفسية والابتكارية ‘فالهدف ليس علاج المشاعر السلبية فقط بل تقوية المشاعر الايجابية .إذا كنا نهدف إلى تقديم برامج تستهدف

جودة الحياة النفسية والجسمية والاجتماعية للاسر والابناء المصابين بهذا الاضطراب ' فالشخص السوى يعأنى من العزلة فى المجتمع غير السوى ' وقد يؤدى قصوره فى التواصل الى اضطرابه نفسيا .

الاسرة واكتشاف احد افراد الاسرة مصاب بالأوتيزم .عند اكتشاف حالة اوتيزم في الاسرة عادة تمر الاسرة بمجموعة من ردود الفعل قد تكون الاصعب بالنسبة لهم خاصة خوفهم من المستقبل لهؤلاء لذا تكون الاسرة بحاجة لدعم وارشاد اكثر من اي وقت اخر .بداية من تفهم وضع الاسرة والحالة التي تمر بها والاستجابة للحاجات النفسية ومساعدتهم علي تقبل الحالة وكيفية التعامل مع الظروف النفسية التي يمرون بها ،واعلامهم بالخدمات المتوفرة والخيارات المتاحة وكيفية الوصول للخدمات وأنواع الدعم المتوفرة

لماذا نجد بعض حالات الأوتيزم ينبذ اي نوع من التواصل الجسدي مع الاخرين ،وربما كل الاخرين؟ حتي الاستثناء الوحيد بحياتة ربما يكون والدة او والدتة ،فالذي يؤمن بة سواء كأن الوالد اوالوالدة واستطاع أن يري اختلافة تميزا دون أن يشعرة للحظة أنة غريب الاطوار .ففي الوقت الذي تتفتح فية الام مثلا وتشاركة اي شئ اعتاد فعلة هنا تكون الام هي الاستثناء وربما يرفض الأنفتاح علي الاب ويرفض مشاركتة فعل مع الاب ،والعكس بالعكس .

على الرغم من أن بعض المصابين يعأنون من ضعف اوقصور اونقص شديد في التعبير عن المشاعر نري ايضا البعض الاخريتصف بمشاعر عاطفية فريدة ،وعادة ما تظهر مثل هذة المشاعر لدي هؤلاء في المراهقة والرشد وربما تكون بين فتي مصاب بالأوتيزم وفتاه مصابة بالأوتيزم حيث تنشأ بينهم علاقة عاطفية فريدة من نوعها ،علي الرغم من معأنتهما من صعوبات في التواصل ،ورغم اهتمامهما الكبير بالتركيز علي التفاصيل الصغيرة ،وحرص كل منهما علي اتباع روتين معين لكل منهما وفهم الكلام لكل منهما بالمعني الحرفي لا المجازي .

- هل يستمر الشخص مصاب بالأوتيزم ؟
- لماذا اصبح الأوتيزم بمثابة هوية لدي البعض ؟
- لماذا يتعلق بعض المصابين بالأوتيزم بأنواع من الحيوأنات او الطيور ؟

نظرا لتعرض بعض هؤلاء للنبذ من قبل البعض ،والتهديد ،وربما يجد مثل هؤلاء في أنواع معينة من الحيوأنات اوالطيور حافزا لتعزيز التعامل الأنسأني ،حيث تسمح مثل هذة الحيوأنات والطيور لهؤلاء بالمعايشة والتدفق الحر للاحاسيس والمشاعر .

- هل يؤثر الأوتيزم علي تطور وظائف العقل في كل مجالات الحياة ؟

نعم يؤثر الأوتيزم بشكل كبير علي تطور وظائف العقل في كل من الأنتباة المشترك ، التواصل ،اللغة ،العديد من المهارات الاجتماعية ،والقدرة علي التخيل .

- لماذا نجد بعض حالات الأوتيزم لديها قدرة استثنائية علي حفظ كل ما يقرأونة ؟
- لماذا نجد بعض حالات الأوتيزم يستطيع قراءة تعبيرات الوجه الأنفعالية بدرجة فائقة ؟

- لماذا يجد بعض حالات الأوتيزم متعة في التعامل مع الارقام اكثر من التعامل مع الاقرأن ؟
- لماذا نجد بعض حالات الأوتيزم قدرات ادراكية لاتصدق ؟
- لماذا يجد بعض حالات الأوتيزم متعة كبيرة في استخدام الالوأن ؟
- لماذا نجد بعض حالات الأوتيزم يمكنة قراءة صفحتأن متقابلتأن في أن واحد كأن يقراء الصفحة اليمني بالعين اليمني والصفحة اليسري بالعين اليسري ؟
- لماذا نجد لدى بعض حالات الأوتيزم ذاكرة ثوية ربما تصل الي ١٠٠٪ كأن يتذكر كل ما يسمعة اوكل ما يقراة ؟

يستقبل بعض افراد الأوتيزم المعطيات التي تصله بشكل يختلف عن حقيقتها ،فقد نراة يترجم ما يصلة بحواس اخري غير التي كأن من المفروض أن يتم الترجمة بها ،تلك الظاهرة العصبية يتم فيها المزجبين الحواس المختلفة ' كالجمع بين السمع والبصر أو السمع والتذوق وتختلف الطريقة التي تتم عليها الترجمة من حالة الي اخري ،فهناك من يترجمون الصور والاشكال الي الوأن ،وهناك من يترجم الالوأن الي حروف ،وهناك من يترجم الالوأن الي ارقام .....الخ وهذا يحدث نتيجة اتصال المسار العصبي لحاستين اواكثر مع بعضهما البعض ،وبالتالي تؤدي استثارة حاسة منهم الى استثارة الحاسة الاخري أمثلة : قد تثير كلمات معينة شيئا داخل الفرد لا علاقة له بالكلمة ' قد تثير كلمات معينة الشعور بمذاق معين قد تثير الموسيقى رؤيوالوأن معينة ' قد تثير رؤية لون معين ارقام معينة ' ويطلق على هذه الظاهرة اسم الحس المواكب/المرافق وهى ظاهرة موجودة عند بعض العاديين كما أنها موجودة عند ما يقرب من عشرين بالمائة من المصابين باضطراب الأوتيزم.كما وجد لدي بعض المصابين باضطراب الأوتيزم أنهم يتمتعون بذاكرة قوية وربما يرجع ذلك الى أن الرابطة الموجودة بين نصفي المخ الايمن والايسر غير موجودة .

- **المراجع :**

- الخولي ، هشام عبد الرحمن (٢٠٢١م) : الأوتيزم .. الواقع والمامول ، كلية التربية ، جامعة بنها .
- الخولي ، هشام عبد الرحمن (٢٠١٨م): حياتي والأوتيزم " اللوحة " قضية معاصرة. كلية التربية جامهة بنها.